

اليمن يدفن مشروع الهيمنة السعودية في الوطن العربي



علي محسن حميد

من كان يتصور أن بعض اليمنيين الحفاة والمحاصرین سيدفنون مشروع هيمنة سعودية في الوطن العربي كان كالحمان الجامح وبدايته كانت الانتصار في حرب اليمن. كانت الثقة بالنصر مطلقة. أساءت السعودية التقدير واستعجلت الحصاد عندما قال قائل منها بعد أسبوعين على عاصفة تدمير اليمن أنها ستدرك صناعة حجرا فوق حجر.

هذه العنجية ساحت في جبال وسهول اليمن. ولم تكن هذه النتيجة المرة في حسبان المعتدل والممعتدى عليه. ولكنها الإرادة وقوة الحق. انتصار السعودية عبودية طويلة المدى لليمن وللخليج كله لجار لم يسلك يوما ما نحوهم سياسة تطمئنهم إلى أنه يقيم لمصالحهم ولسيادتهم ولوحداتهم الترابية الوزن الواجب. وليس لدى أدلى شك في أن إفشال مشروع الهيمنة السعودية هو محل تقدير الشعوب العربية الصامتة من المحيط إلى الخليج. أما الشعب السعودي فإنه لا يعرف لماذا تحارب حكومته جارا لم يعتد عليه ولم يطلق تجاه حدودها طلقة نار واحدة قبل 26 مارس 2015 ولم يشكل تهديدا لها بل يقول دائما أنه جاهز لحماية السعودية من أي عدوان.

نزعه الهيمنة السعودية ليست سرا ففي عام 1979 قال السفير الفرنسي بصنعاء أن اليمن وفرنسا تشركان في حرصهما على استقلالهما وفي القاهرة وصف السفير الألماني السابق السيد برنارد اريل الذي عمل في شبابه بصنعاء الشعب اليمني بأنه شعب يعتز بكرامته، وفي أبريل 2013 قال الخبير الدستوري الفرنسي السيد فرانسوا فريزو - روش في صنعاء بأن "ال سعوديين عندهم شهية لأكل الأراضي اليمنية" وكرر الباحث

الفرنسي في شؤون اليمن السيد لورا بونفوا القول في مؤلفاته بأن السعودية تريد سعودية اليمن عبر السلفيين وواحد مننا قال أن اليمن لا يمكن أن تكون سعيدة وسعودية في نفس الوقت وغيرهؤلاء كثير. لم تستوعب السعودية منذ إنشائها حقيقة أن اليمنيين عصيّين على التطوير حتى ولوشد نفر منهم وزار اللجنة الخاصة في الرياض وسُجّلوا في كشوفاتها المالية أو تحولت قلة شادة من الحداثيين إلى مؤيدي السياسيين السعوديين والأمريكيين في المنطقة ويررون أن أعداء الدولتين هم أعداء لهم . هؤلاء هم متفرجون في مباراة كرة القدم سياسية لـ“لقاء بين السعودي والإماراتي في ملعب يغطّ صاحبه في نوم عميق بالرياض. ومن عجب أنه لا يكل ولا يمل من تردّي الشكر. السعودية في حربها تنتهي بشكل صارخ القرار الأممي 2216 وقد خلقت فراغاً في السلطة التي تحارب لاستعادتها سعياً للهيمنة على اليمن الاستراتيجية وهي مطمئنة إلى أن السلطة الأسرية لديها لن تجرؤ حتى على التأتأة. الوضع الشاذ الحالي صناعة سعودية وهدفه شرعة هيمنة طويلة المدى على دولة قد تستمر موحدة ولكن سينقص منها الجزء الذي سيربط آبار بترولها ببحر العرب الذي سيصبح مستعمرة لها ولسيادة اليمن عليه. يحدث هذا والسلطة المعترف بها دولياً لا تحرك ساكناً ومعها حلفاؤها من النخب الحداثية والتقليدية التي تقيم مع حكومة المنفي في الرياض ويضمها تحالف مشبوه يسمى بـ“تحالف الأحزاب والقوى الوطنية”.

هذه النخب لا تخجل من خدمة أكثر النظم السياسية العربية رجعية وترتّب خيانة وطنية إما بالصمم أو بالتوطئة. السعودية قال عنها في 13 مايو السيد فرانك جاردنر الكاتب في الشؤون الأمنية في هيئة الإذاعة البريطانية ما كانت تقوله هذه النخب حتى الأمس القريب. ”لقد تعاظم القمع في السعودية ولا يجرؤ أحد أن يتسائل عن سياسات محمد بن سلمان لأنّه يخاطر باعتقاله وسجنه وتهتمّه بأنه يهدّد الأمن الوطني. إن قطع الرؤوس لم يتوقف ولا يزال هذا البلد من أكثر الدول انتقاداً من قبل منظمات حقوق الإنسان وحلفاؤه ينظرون إليه كشريك محير وأحياناً مسبباً للإحراج. هناك مناخ من الخوف ولا يجرؤ أحد على النقد خوف الاعتقال.“.

أكيد أنكم أيها المقاومون غيابياً تشعرون بذلك ولكنكم لا تجرأون حتى على الهمس مع أقرب الناس إليكم. وباختصار هل تظنون أن السعودية تريد لليمن نظاماً أفضل من نظامها؟. اليوم أمّا ملككم خيار العودة لتكونوا مع شعبكم وفي وطنكم لتقاوموا ما تعتبرونه انقلاباً حوثياً . أما ما كتبه جاردنر عن ورطة السعودية في اليمن ودعم أمريكا وبريطانيا لها ومسؤولية الثلاثي عن الجزء الأكبر من معاناة اليمنيين فلا جديد فيه وهو تأكيد للمؤكد.

الليس من حق اليمنيين أن يفخروا بأنهم نيابة عن العرب أنقذوهم من مشروع الهيمنة السعودية على المنطقة لخدمة تحالف استراتيجي مع أمريكا وضع أسسه روزفلت وعبد العزيز عام 1946 ولم يخدم أي قضية عربية بل كان ولا يزال وباء ووباء على العرب. حذر كتاب وليس دول ، السعودية من مقبرة اليمن لأن لدولة أرادت تقديم النصيحة “لأخ الكبير” الذي أفرغ اليمنيون باللونته من هوائها وسيحررونه من أهواهه وسيقبرون طموحاته غير المشروعة في اليمن والوطن العربي إلى الأبد. قد تصبح السعودية قوة اقتصادية

وهذا هو قدرها وحده لكن أن تلعب دورا سياسيا وقوميا أو حتى إسلاميا فاقرأوا الفاتحة على هكذا طموح والفضل للإيمنيين. لماذا لأنه لا يمكن الجمع بين قيادة الأمتين العربية والإسلامية وبين التبعية ل أمريكا التي تتأكد بإحجام السعودية عن توظيف تحالفها الاستراتيجي معها لصالح القضايا العربية ولو كانت قضية فلسطين وهي اليوم في أحر أوضاعها من همومها لما تجرأ ترامب على نقل سفارته إلى القدس ثم تبنيه لضم ثلث الضفة إلى الكيان الغاصب.

القيادة تعني تبني مشروع نهضوي عربي ليس صديقا للهيمنة الأجنبية. القيادة موقف. القيادة فعل. والقيادة تصحية. السعودية تضحيت بدون أن تحسب حسابا دقيقا لقدراتها وأنها ليست أكثر من بنك كما أنها لم تحسب حسابها لحساسيات من هم أجدر منها بقيادة المنطقة. في 20 مايو 2017، اليوم الذي كان فيه ترامب مع 55 من القادة العرب والمسلمين في الرياض قال المتحدث السعودي فهيم في نشرة الثانية والنصف لإذاعة القاهرة أن "الرياض الآن هي البوصلة وبوصلة العالم وأن السعودية أتاحت للرؤساء العرب والمسلمين فرصة الجلوس مع الرئيس الأمريكي". الجلوس مع ترامب أصبح غاية. وفي نشرة الثامنة والنصف مساء تجاهلت إذاعة القاهرة كلها وقائع زيارة ترامب للسعودية ووجهت اهتمام المستمعين إلى كلمة الرئيس السيسي في القمة عن رؤية مصر 2030 وللقائه برئيسي طاجيكستان وبوركينا فاسو. وفي تلك الغُمة لم يسمع ترامب من المُضيف ما يَكره .. "فلسطين".

واستعجلت السعودية المزهوة بالزيارة برفع شعار "العز يجمعنا prevail we Together" أي أن الشمل العربي - الأمريكي - المسلم الذي طالما فرقه "الأعداء" قد اجتمع بإذن الله بقيادة أمريكية لأن أمريكا تاريخيا لا تقبل، بتعبير الرئيس رونالد ريجان، أن تكون الثانية to - none. كان يجب توظيف انعقاد تلك القمة الفريدة من نوعها لإعطاء ترامب دروس في تاريخ فلسطين وحقوق الإنسان وتاريخ الثورة الأمريكية المسلحة ضد الاستعمار البريطاني والدستور الأمريكي ، كما فعل عظيم العرب جمال عبد الناصر في مراسلاته مع الرئيس الأمريكي جون كينيدي عندما ذكره بجواهر قضية فلسطين وحفر في ذاكرتنا ولأجيال قادمة عبارته الخالدة عن وعد بلفور "وعد من لا يملك لمن لا يستحق". بدأت قيادة عبد الناصر برفصه للأحلاف العسكرية واليوم نسمع عن "ناتو عربي"! لا يجد أي ممانعة عربية. عام 2017 صادف الذكرى المئوية ، التي لن ولن تتكرر، لوعد بلفور وكان ينبغي تذكير ترامب به ولو كانت السعودية كدولة مضيفة تعني ما هي مقومات القيادة لما صمت. بعد الغُمة وقعت السعودية صفقة تسليح لاحتاجها بـ 460 مليار دولار لجيش لم يُعد مطلقا للحرب.

شنت السعودية حربها علينا لأنها لا تريد أن يكون للإيمن الفقير جيشا أفضل من جيشه ومن وسوس لدى الملك عبد الله انتقلت إلى مشروع ثلاثي يشبه تحالف عدوان السويس عام 1956 إعدادا وتحطيطا وتحديد أهداف. وظف الحلف الثلاثي معلومات قدمها فريق عسكري أردني عن مخابئ ونوعية السلاح اليمني شارك في إعادة هيكلة الجيش اليمني بعد سقوط نظام الرئيس الراحل صالح تنفيذا للمبادرة الخليجية المسمومة. وكان "جحيم صنعاء" من صنع أردني أيضا. الجيش السعودي بربت عدم كفاءته في استعراض عسكري

في حفر الباطن قبل سنوات طويلة عندما فشل الجنود السعوديون بضبط خطواتهم التي هي من بدبيهيات فرق الكشافة وكان من حضور ذلك الاستعراض الرئيس صالح. وهذا الجيش هو الذي يدافع عن الدين والوطن بحسب خطباء الحرمين الشريفين وغيرهما. إن انتصار اليمن سينقذ السعوديين من طغيان محمد بن سلمان أيضا.

كتاب يمني